نادر استدللت على افكاره من سحنته. وفي كل حال لا ترتسم في ذهني صورة الشيء المرتسم في ذهنه بل اشعر بالمس انه يحرّك حركات خفيّة تدلني على الشيء الذي اضمرهُ وهذه الحركات تحصل عن غير قصد حينما يكون حاضرًا افكارهُ في ما يضمرهُ . ومذهبي ان قراءة الافكار هي قوة اللمس عينها ولكن هذه القوة هي فيّ اشدُّ مما في غيري فاذا لمست انساناً شعرت بمجرد قوة اللمس بالجهة التي ينكر بها و بالشيء الذي اجتمعت افكارهُ عليهِ وبالطريق الذي يجب ان اسير فيهِ للبلوغ الى ذلك الشيء. وهذه القوة ليست خاصّة بي بل هي موجودة في الوف من الناس وتتفاوت فيهم في القوة والضعف . ولكن تسعة اعشارهم لا يعرفون ان هذه القوة موجودة فيهم وكثيرون من العشر الباقي لا يهتمون بتمرينها وتقويتها

وقد بحثت لعلي اجد اثرًا لقراءة الافكار في كتب الهنود القديمة فلم اجد الاّ ان واحدًا من الهنود قال لي ذُكر في تقاليدنا انهُ كان في قديم الزمان اناس بارعون في قراءة الافكار فرُفعوا الى درجة تحت درجة الآلهة فاغاظ الآلهة منهم وابتلعوهم . واخبرني احد الباحثين في الآثار المصرية انهُ يستنتج ان كهنة المصريين القدماء كانوا يعرفون قراءة الافكار و يستعملون الطريقة التي استعملتها انا. وهذا غير بعيد ولا يبعد ايضًا ان كهنة المصريين ومجوس الفرس كانوا ابرع مني في قراءة الافكار

غرائب الاخبار في غرائب الازهار

تغنّى الشعراء بوصف الازهار تغني اناس اكتحلت عيونهم ببرآها وتطيّبت انفاسهم بريّاها ووصفها الكُتّاب وصف قوم رأوها في خمائلها وبحثوا عن خواصها ومنافعها . ولكن فاتهم جميعًا امور كثيرة جديرة بالنظر وحقائق جمة تحير الفكر مثل اسباب تلوّنها بالوانها البديعة وغاية هذا التلوّن ومحلهِ من نظام الطبيعة . وهذا مما تركهُ الاول للآخر وبحث عنهُ علماء هذا الزمان فحلّوا مشكلاتهُ بالتجربة والامتحان . وقد بيّنا ذلك مفصّلاً في الكلام على الحشرات والوان الازهار في المجلد التاسع من المقتطف . ومرادنا الآن ان نصف بعض الازهار الغريبة ونبيّن ما في تركيبها من الحكمة العجيبة وما في اعمالها من مظاهر السعي والذهاب حتى كأنها حيوان عاقل يحكم اعماله لغايات مقصودة بالذات

اكبر الازهار المعروفة عندنا زهر دوّار الشمس الذي ينشر اعلامهُ الذهبيّة على رماح الزبرجد ويقابل الشمس من شروقها الى غروبها كأنهُ عين الحرباء في ما قيل او موبذان

المجوس . فان محيط زهرته قد يبلغ ثلاثة اشبار ولكن ما هذا الزهر ليُذكَر بإزاء زهر النبات الحلي المسمّى رفلازيا الذي ينبت في جزيرة سمطرة في اقاصي المشرق. فان محيط زهرته اكثر من خمسة عشر شبرًا وهي كاللحم الممتن شكلاً ولونًا ورائحةً فيشمّ الذباب رائحتها عن أمد بعيد فيظنها جيفة من الجيف فيقصدها ويضع بيضه فيها كما يضعه في اللحم . وعنده ان البيض اذا تُقِف وجدت الديدان الخارجة منه لحمًا غضيرًا وخيرًا كثيرًا ولكن تكذبه عينه ويخدعه شمّه لان صغاره تولد لتموت جوعًا على تلك الازهار لا أمّ تراأمها ولا والد يرحمها . وما غرض الزهر من هذه الحيلة وهذا الدهاء الاّ مصلحة نفسه ومنفعة نوعه فهو ككثير من الناس الذين يضحّون خير كل احد وهم يسعون في خير انفسهم . اما المنفعة التي يجنيها الزهر من الذباب فهي ان لقاحه يلتصق بالذبابة حينما تقع عليه فتنقله من زهرة الى أخرى فتتلقح الازهار من لقاح غيرها ولولا ذلك ما كثُر نوعه ولا جاد فكأنّه استخدم شكله ولونه ورائحته لخدع الحشرات بغية تكثير نوعه

والذباب والفراش وانواع كثيرة من الحشرات التي تحوم على الازهار تحمل اللقاح من زهرة الى أخرى ولكنّ الزهر لا يضرّ بها غالبًا ولا ينتفع منها عفوًا بل يعطيها شيئًا من العسل بدل النفع الذي نالهُ منها . وقد قيّدنا عدم الضرر بكونه غالبيًا ولم نطلقه لانه توجد ازهار كثيرة تضرّ بالحشرات اما بحبسها مدة من الزمان واما بافتراسها والاغتذاء بها ومن الاول نبات اسمه برناسُس في زهره نقط صغيرة شفافة تلألأ في الشمس كانها نقط العسل فيراها الذباب فيظنها عسلاً فيحوم عليها ليلتقطها ويبذل جهده في امتصاصها فلا يجد فيها شيئًا يؤكل فيغادرها صفر اليدين آسفًا على ما اضاعه من الوقت والتعب . ولكن النبات لم ينصب هذه الاحبولة ولم يعنَ بنشر هذه النقط البلورية عبثًا بل غايته منها ان يلصق لقاحه بالذباب فينتقل من زهرة الى أخرى . وهذه الغاية ينالها على اسهل سبيل والذباب جاهل لا تعلّمه التجارب فيخدع بهذه الازهار كلّما رآها

ومنه نوع آخر لزهره قرن طويل فيه شعرٌ دقيق متجهٌ الى داخل القرن فاذا دخلت فيه الذبابة للتفتيش عن العسل لم يعاوقها في دخولها بل عاوقها في خروجها ومنعها عن الخروج فتقيم فيه تتردد من جهة الى أخرى حتى تلقحه جيّدًا بما كان لاصقًا بها من اللقاح . وحينئذٍ تنفتح اكياس اللقاح الذي فيه فيقع على الذبابة ويلتصق بها وللحال يجف الشعر ويزول من طريقها لانه قد قضى اربه فتخرج الذبابة من حيث دخلت وتدخل قرن زهرة أخرى لتلقحها بلقاح الزهرة الاولى وهلمّ جرًّا . وقد يُظَنّ ان الذبابة اذا رأت ما اصابها في الزهرة الواحدة لا تعود تدخل زهرة أخرى ولكن ما هي باحكم من السكيرين والمقامرين الذين يخسرون

مالهم واسمهم وشرفهم في حان الخمرة ومغارة المقامرة ولا ينفكون عن التردد عليها

ومنه نبات اللوف على اشكاله فانه يغري الحشرات برائحة ازهاره التي تشبه رائحة اللحم المنتن فاذا دخلت زهرة منها عجزت عن الخروج قبل ان تلقحها جيدًا ولا سيما لان في الازهار شيئًا من العسل المسكر فاذا امتصته الحشرات سكرت وترنحت فأمن النبات خروجها منه قبل تلقحه وعند ما يتلقح جيدًا تنفتح اكياس اللقاح التي فيه فيقع اللقاح على الحشرات فتحمله وتمضي به الى زهرة أخرى وهلم جرًّا

هذا والمألوف ان الحيوان يأكل النبات ولم يذكر احد من المتقدمين ان النبات يأكل الحيوان ولكن غرائب الكون لا تحدُّ وشراسة مخلوقاته لا توصف ولولا اعتيادنا عليها ونسبتنا اياها الى النواميس الطبيعية الماضية بهذا التناقي لبناء الانسب لكانت حياتنا كلها رثاء وتوجُّعًا على تعاسة المخلوقات . فصغار السمك تولد بالملايين ولكن كبارهُ تفترسها فلا يبقى من المليون واحدةٌ وصغار الوحوش والطيور لو عاشت كلها سنين قليلة لضاقت بها الدنيا بما وسعت ولكن افتراس الحيوان للحيوان مألوف فلا نرتاع منه واما افتراس النبات للحيوان فغير مألوف ولم يُنبَّه اليه الاَّ من عهد قريب . فالنبات المعروف بندى الشمس وهو من احقر النباتات استحقَّ عناية العلماء في امره وتأليفهم الكتب في وصفه لا لجمال منظره ولا لطيب اريجه بل لشراسته وقساوة طبعه فان اوراقه عليها غدد حمراء تفرز سائلاً دبقًا يتلألأ في الشمس كنقط العسل فتراهُ الحشرات وتظنهُ اريًا (عسل الزهر) فتسعى الى حتفها بظلفها لانه يلصق بارجلها واجنحتها ويغلها عن الحركة و يقيدها بقيود لا خلاص لها منها ثمَّ تنطبق اوراقه عليها رويدًا رويدًا وتفرز سائلاً كالسائل الذي تفرزهُ المعدة فتذيبها به وتمتصها كما تذيب المعدة الطعام وتمتصهُ

والنبات الابريقي الهندي له آنية كالاباريق فيها سائل كثير وقد وُجد فيها شركًا للحشرات فتقع فيه وتذوب فيمتصها النبات و يغتذي بها كما نغتذي جذورهُ بمواد الارض . وفي بلاد كليفورنيا باميركا نبات آخر له اباريق فيها سائل لزج تقع الحشرات فيه فتموت وتحلل فيغتذي النبات بها . واهالي كليفورنيا يزرعون هذا النبات في بيوتهم ليكون مصيدة للذبان . وهذه الاباريق ليست ازهارًا بل اوراق ملوَّنة كالازهار

ولا يظنَّ القارئ ان غرائب الازهار محصورة في الازهار الغريبة التي في البلدان البعيدة فان اكثر الازهار التي في حدائقنا وبساتيننا فيها من الغرابة ما يقضي بالعجب مثل التين وهو من النباتات التي تظنُّ العامَّة انها تثمر بدون ان تزهر والصحيح ان في كل ثمرة من ثمر التين ما لا يحصى من الازهار الصغيرة . فاذا شققت التينة الفجة وتأملت النتوءات الصغيرة التي في باطنها

وجدتها كلها ازهارًا دقيقة. واغرب من ذلك انهُ يوجد نوع صغير من الحشرات يضع بيضهُ في ثمر التين البري فتخرج صغارهُ حينما تبلغ اشدها من جوف التينة حاملة اللقاح على ظهرها وتفتش عن تينة أخرى لتدخل فيها وتبيض. فيدخل بعضها في افواه التين البستاني الذي يؤكل ويلقح هذه الازهار الصغيرة باللقاح الذي لصق بهِ من التين البري ثم يخرج كما دخل لانهُ لا يجد مكانًا مناسبًا ليضع بيضهُ فيهِ. وهذه هي الفائدة من التين البري ومن هذه الحشرات الصغيرة. والباحث في طبائع الحيوان والنبات يرى غرائب كثيرة تدهش العقول وتحيّر الافكار

البارود والتمدن

ومن العداوة ما ينالُكَ نفعُهُ ومنَ الصداقةِ ما يضرُّ ويُؤلِمُ

كم ضرّ جرَّهُ نفع وكم نفع جرَّهُ ضرٌّ. هذا البارود الذي نعدُّهُ من ويلات هذا الزمان ومقوّضات دعائم العمران لهُ في تشييد صروح الحضارة الرايةُ البيضاء. وفي قلب جيوش الاستبداد الطعنةُ النجلاء. تبصَّر رعاك الله في احوال البشر وطالع تاريخهم واستقصِ احوالهم في العصر الذي اخترعوا البارود فيهِ ترَ انهم كانوا قد انشطروا شطرين وانقسموا طائفتين طائفة الرؤساء اهل البطش والسيادة لهم الحصون الرفيعة والدروع المنيعة والخيول المطهمة والانعام المسوَّمة. يأكلون الفالوذج والسكباج ويرفلون بالبرفير والديباج نساؤهم يلبسنَ الخزّ والاستبرق واطفالهم يربون في اسرَّة العاج والذهب. تنقضي ايامهم بالصيد والقنص ولياليهم بالرقص والطرب وكأنَّ لسان حالهم يقول

واذا السعادةُ راقبتكَ عيونُها نَمْ فالمخاوفُ كلهنَّ امانُ
واصطَدْ بها العنقاء فهي حبالةٌ واقتَدْ بها الجوزاء فهي عنانُ

ولهم الكلمة النافذة في مرؤوسيهم والسيادة المطلقة عليهم يسومونهم الذل ويبتزُّون جنى اتعابهم من ايديهم

والظلمُ من شيم النفوس فان تجد ذا عفّةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

وطائفة المرؤوسين وهم في اللباس الرثيث والعيش الغثيث والكد الحثيث يفترشون التراب ويلتحفون الاهاب. يحرثون الارض واسيادهم تأكل غلتها ويرعون المواشي واسيادهم تشرب لبنها ويفترون الصيد واسيادهم تأكل لحمهُ وقد ضربت عليهم الذلّة والمسكنة واسان حالهم يقول

مَنْ يهُنْ يسهل الهوان عليهِ ما لجرحٍ بميّتٍ ايلامُ